

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

للمرأة في الإسلام مكانة عظيمة، حيث لم تولها إياها أية شريعة من الشرائع الوضعية من قبل؛ فقد حفظ الإسلام للمرأة إنسانيتها الكاملة وكرامتها كأنتى، وساوى بينها وبين الرجل من حيث البناء الروحي والعبادي والسلوكي تشاركه في منظومة القيم والمعنويات مشاركة تامة ولا تختلف عنه في الكمالات الإنسانية إلا كما يختلف الرجل نفسه عن غيره من الرجال. بل نجد أن المرأة أخذت حيزاً مهماً في مسيرة النور والهداية، وشاركت الأنبياء والأئمة في التضحية والصبر جنباً إلى جنب، وتفوقت على الرجال في مواضع عديدة حتى جعلها القرآن مثلاً للذين آمنوا من الرجال والنساء على السواء {وضرب الله مثلاً امرأة فرعون....}ن {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا.....}.{[1]}

وجعل من هاتين المرأتين مثلاً نقتدي بإيمانهما، حيث كانتا ترجوان ما عند الله دون سواه. والقرآن لا يميز بين الرجل والمرأة من الناحية الإنسانية، فيقول تعالى {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك}{[2]}. فالإنسان بمفهومه العام رجل وامرأة وبمفهومه الخاص إما رجل وإما امرأة، والأصل في الرجل والمرأة هو واحد انطلاقهم من النفس الإنسانية {وخلقكم من نفس واحدة}{[3]} أي هي صورة الله الكامل والهدف من الإنسانية هو واحد للرجل والمرأة على السواء وهو الوصول إلى الله الكمال المطلق. وقد نظر الإسلام نظرة شمولية إلى المرأة، حيث نظر إلى جسدها وروحها وعقلها وعاطفتها وإلى جميع مراحل طفولتها وشبابها وشيخوختها وإلى أمومتها وإلى بنوتها وإلى حياتها مع زوجها وإلى محيطها الأسري وإلى كونها فرد من أفراد المجتمع وإلى حياتها في الدنيا وما بعدها في جميع العوالم التي ستمر بها.

فالارتواء العاطفي هو أمر فطري في الطبيعة البشرية؛ فلا فرق بين الذكر والأنثى في هذا الأمر إذ يحتاج كل منهما إلى الآخر بنفس الدرجة إن لم تكن حاجة الرجال أقوى وأشد. ومن هنا فالعلاقة بينهما هي علاقة تكامل بنظر الإسلام. لذلك نجد عملية التكامل المنسجمة بين الرجل والمرأة؛ فالرجل بحاجة إلى المرأة ليرتوي منها عاطفياً، والمرأة كذلك الأمر.

هذه الحاجة المتبادلة نابعة من الطبيعة التكوينية للمرأة، حيث يتدفق منها العطف والحنان والرقّة... غالباً ومن الطبيعة التكوينية للرجل حيث تتبدى فيه الرجولة والقسوة والخشونة غالباً. ومن هنا تطلب المرأة في الرجل الحماية والطمأنينة والأمان كما يجد الرجل في المرأة حاجته إلى الاستقرار والسكون والمودة والألفة.

إلا أن الرجل تجده بحاجة إلى حنان المرأة وعطفها بشكل غريب حتى ولو كان قاسياً وكذلك المرأة تطلب ما حماية الرجل ووقاره وقوته وعقله ضمن علاقة حنونة ينصهر فيها الجلال مع الجمال والجمال مع الجلال. والمرأة تمثل قوة مخترنة لا تقف أمامها جيوش. فقلب المرأة قوة كبيرة، وفي الرواية التاريخية عندما توعد معاوية الإمام علي (ع) بأنه سيقاتله برجال قلوبهم شديدة... فرد عليه الإمام (ع) بأنه سيقاتله برجال قلوبهم كقلوب النساء. فالمرأة أشد وفاء وإخلاصاً إذا أحبت، والقلب هو الذي يأمر عندها البدن في التضحية.

إن نظرة الإسلام للمرأة هي نظرة تتميز بالشمولية، لذلك نجد أن القرآن تعاطى مع المرأة كإنسان وكأنثى، فضمن لها جانب الحماية والرعاية عن طريق الأب أو الجد ثم الزوج. فللمرأة شأن وسر عند الله، لذلك جعلها معززة ومكفولة مادياً ومعنوياً فالمرأة ليست مطالبة بالنفقة وبأعباء الحياة ولا بصعوباتها المادية والعملية. والآية القرآنية التي تذكر حادثة آدم والشيطان، {فلا يخرجكما من الجنة فتشقى} [4]، فعبارة لتشقى جاءت بصيغة المفرد بينما جاء التعبير يخرجكما بصيغة المثني إشارة إلى أعباء الحياة وما تستتبعه من الأعباء والصعوبات الملقاة على عاتق الرجل، فالمرأة هي المصانة وهذا ليس انتقاصاً من مكانة الرجل بل هو يأتي مع تكامله، فالرجل عندما يعتني بالمرأة هو يتصرف من خلال فطرته الغيورة على المرأة بل هو يندرج في إطار التوزيع الوظيفي الذي تقتضيه المصلحة في

نطاق تكامل العلاقة بين الرجل والمرأة، كما يندرج في إطار الحفظ والرعاية والصون الذي يبذله الرجل للمرأة في نطاق العلاقة الفريدة التي تجمع بينهما.

ويبدو أن الذريعة التي يتمسك بها الغرب تجاه الإسلام جهلاً منهم بحقيقته أو عن سوء نية وتخطيط هي موضوع المرأة، وذلك بعد عجزهم عن مواجهة هذا الدين الذي يجيب الإنسان عن جميع التساؤلات حول الوجود وأسبابه وصفاته وهدف الإنسانية ومنشأها وجميع الأحكام العملية في الدنيا حتى " الارش في الخدش " كما بعبر الإمام الصادق (ع).

لذلك، استغلوا مسألة المرأة ونظرة الإسلام لها ومن تلك الشبهات، مسألة الزواج المتعدد ومسألة الميراث ومسألة حقوق الرجل تجاه المرأة من طاعة وغيرها ومسألة شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحد أو التكافؤ في العمل السلطوي والحجاب وغيرها، ومن يرفع هذه الشعارات هم عادة إما من الذين لم يطلعوا على تفاصيل الدين الإسلامي ليعلموا ما للمرأة من حقوق أو من الذين يريدون تشويه صورة هذا الدين الذي ينسجم مع العقل والمنطق.

أما في مسألة الزواج المتعدد، فالزواج في الإسلام هو عقد اتفاق بين المرأة والرجل، وقد أعطى الإسلام للمرأة ولاية على نفسها في موضوع الزواج واختيار الشريك، بل هو حقها الطبيعي كإنسان، وجعل لها تشترط في عقد الزواج ما تضمن به مصيرها في المستقبل وتحفظ به حقوقها التي ترتبها، ومن جانب آخر أن الرجل أكثر تعرضاً للموت من المرأة بسبب الحروب والأخطار التي يواجهها. وحسب الإحصاءات العالمية فإن الرجال أكثر تعرضاً للوفاة من النساء، مما يسبب عدم التكافؤ في توازن الجنس البشري. لذلك وضع الله حلولاً لجميع الظروف والحالات التي يحتمل أن تطرأ مستقبلاً على الناس ضمن نظام دقيق لا يؤدي إلى فساد في معيشتهم وحياتهم.

وهناك حادثة في التاريخ الحديث حصلت بعد الحرب العالمية الثانية في ألمانيا وبعد أن قتل الملايين من أفراد الجيش الألماني، أصبح هناك عدد من النساء يفوق عدد الرجال بكثير، فطالبت النساء الكنيسة أن تسمح للرجال بالزواج بأكثر من خمسة أو ستة نساء، فرفضت الكنيسة وكانت عاقبة الأمر انتشار الزنا العلني وازدحام شوارع "برلين" و"ميونخ" وغيرها من المدن باللقطاء والأبناء غير الشرعيين.

أما مسألة الإرث فإن المرأة تراث نصف ما يرث الرجل من تركة الأب وذلك لاعتبارات عديدة، منها: أن الرجل هو المسؤول تجاه عائلته من الناحية المادية شرعاً والمرأة معفاة من ذلك الأمر، فما يعطى للمرأة لإيجاب عليها أن تبذله في النفقة بل تكون النفقة على عهدة الزوج يكون زائداً على نفقتها المطالب بها زوجها.

وفي مسألة حقوق الرجل تجاه المرأة أو مسألة الحجاب، فهؤلاء الذين دعوا إلى مساواة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، قد غابت عنهم حقيقة الفارق الكبير بين الرجل والمرأة على مستوى الذكورة والأنوثة وطبيعة تكوينهما الفطري والجسدي والنفسي والفكري والعاطفي والوجداني؛ فالرجل يتمتع بمواصفات تختلف عن المواصفات التي تتمتع بها المرأة، فالجانب الجلالي في الرجل أقوى مما في المرأة كالقوة والصلابة والقهر والسيطرة والعنفوان والشجاعة والقسوة والخشونة والشدة، وهذا ينعكس على نفسيته وكيانه.

والجانب الجمالي في المرأة أقوى منه في الرجل كالنعومة واللطافة والرقّة والليونة والحنان والعاطفة، وهذا ينعكس أيضاً على نفسيته وكيانه. لذلك فالعلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن ينظر إليها من زاوية الاختلاف التكويني بينهما من خلال ميزات كل منهما ومن خلال الجانب النفسي لكل منهما، فإذا ما كان للرجل على زوجته حق الطاعة، فهذه الطاعة معطاة ضمن القوانين والضوابط الشرعية وليست طاعة مطلقة وفي جميع الحالات؛ فليس للرجل سلطة على المرأة بحيث تعصي الله طاعة له أو أن تقوم بخدمته قهراً، وحتى الخدمة المنزلية لم يوجب الإسلام على المرأة أن تقوم بها كما لم يحرضها على ترك ذلك، وإنما دعا إلى التعاون المبني على المودة والرحمة والشعور بالمسؤولية والمبادرة إلى خدمة الآخر تطوعاً وسروراً ورضاً بذلك، وهذا ينطبق أيضاً على مسألة الإرضاع، فيحق للمرأة أن تطالب بأجرة مقابل ذلك فهذا الحق ثابت للمرأة وإن لم يشجعها الإسلام على المطالبة بهن لأن الزواج علاقة إنسانية وليس عقداً تجارياً تجري في ضمنه الصفقات. نعم هذا الحق يشعر المرأة بأنها تبذل من نفسها مجاناً في سبيل الآخرين فتتضلع بمسؤوليتها وكيانها وبحضورها الفاعل في بناء الأسرة.

كل هذه الأعمال تصدر منها تطوعاً ومحبة ولبس فرضاً وإكراهاً. بل إن الله أوجب على المرأة طلب العلم "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" [5]. وهذا قد يستدعي الخروج من المنزل والسعي ولكن العادات والتقاليد السلبية تفرض على المرأة خدمة المنزل.

وطبعاً المقصود بالعلم هنا هو العلم الإلهي الذي يقوم بإيصال الإنسان إلى غايته.

أما مسألة طاعة المرأة لزوجها هي من قبيل شركة أو مؤسسة موجودة، ويجب لكي تستمر أن يكون لها مدير يقوم بإدارة أعمال هذه الشركة، فإذا واجه هذا المدير عدم إطاعة أو رفض لأوامره من موظفيه أو حتى من شركائه ستتعرقل أعمال الشركة مما يؤدي إلى ضرر كبير؛ فالزوج ما هو إلا مدير يقوم بإدارة الحياة الزوجية ضمن قوانين الشريعة الإلهية، هذا إذا تغافلنا عن روحية المودة والرحمة الحاكمة على العلاقة بين الزوجين وإلا فالإسلام يعطي الأولوية لهذه الروحية التي تكفل استمرار الأسرة والحياة الزوجية في إطار التعاون والتفاهم والاحلاص والرحمة.

أما فيما يتعلق بالحجاب، فهو عبارة عن ستر الجسد عموماً، وهذا الأمر وإن كان لا يختص بالنساء بل يشترك فيه الرجال لدواعي الحشمة، إلا أنه يغلب في المرأة حيث تتوفر فيها دواعي العفة والحياء بوضوح من جهة، كما تتوفر فيها مظاهر الافتنان والجذب من جهة ثانية. فالستر مشترك بين سائر البشر، وهذا الأمر ينبع من صفات المرأة الفطرية العفة والحياء، فإذا كانت المرأة بطبيعتها الأنثوية تمتلك حياء يدفعها لتستر بعض جسدها فالمرأة المسلمة التي نشأت على أساس الالتزام الشرعي والديني لها من الحياء ما يجعلها تستر كامل جسدها إلا ما استثنى: الوجه واليدين، وذلك لأن اليدين تتعامل بهما مع الأشياء العملية والوجه لمسألة الرؤية والتنفس والتكلم والشرب... ومعرفة شخصها، أما الشعر وسائر الأعضاء فلا تلزمها ضرورات الحياة على إظهارها للأجانب؛ فليس من الضروري للمرأة إظهارهما للغرباء، وإلا فالمرأة تظهر أمام محارمها وجميع النساء والأطفال وزوجها بدون حجاب، فالحجاب نسبي هنا وهو حاجة لها أمام الرجال الغرباء فقط، وإذا ما تعمقنا بالنظر والتأمل في صفات كل من الرجل والمرأة لوجدنا أن الحجاب ضروري.

فالحجاب هو وسيلة تحفظ المرأة من خلاله الجمال والرقّة والنعمومة التي يمكن أن تفتن الرجل الغريب فيطمع الذي في قلبه مرض. والمرأة بطبيعتها تجذب الرجل لما تتمتع به من مواصفات تتكامل مع الرجل. هناك بعض النساء تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة على صعيد الحجاب. والمرأة التي تنادي بالحجاب للرجل هي في الواقع لا تقدر صفاتها، فالجمال أكثر جاذبية وجمالاً من الجلال لرقته ونعموته، لذلك الذي يجذب أكثر هو الذي يكون عاملاً مطلوباً ومرغوباً أكثر.

وما الحجاب إلا إجراء وقائي يحمي المرأة التي تمتلك كإنسانة صفات أنثوية مقابل إنسان يمتلك الصفات الذكورية.

والإسلام أراد من المرأة أيضاً أن تظهر أمام المجتمع من خلال عقلها وإنسانيتها، لا من خلال نظرة دونية تتعلق بالشهوة والإثارة وإظهار المفاتن، فكلما أرخينا الستر وألقينا الظلال على مفاتن الجسد التي تثير الآخرين وتوقع في الفتنة وتظهر المرأة مبتذلة ورخيصة كلما ألفتنا الانتباه أكثر وسلطنا الضوء على ما هو أبعد من الجسد حيث تكمن قيمة المرأة في إبداعها الفكري والعقلي وفي جمالها القلبي والعاطفي وفي رقيها النفسي والروحي وفي طهارتها وسموها وارتباطها بالله تعالى. فالمرأة كنز إذا حافظنا عليه أو حافظت هي عليه بأن يكون مستوراً فإنه لن يكون عرضة للسرقة أو السطو.

ويبقى هناك مسألة شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحد، فالقرآن يصرح لنا بأن هذا الأمر يتعلق بالنسيان لدى المرأة، لذلك كانت شهادة امرأتين أنسب حتى إذا نسيت إحداهما تذكر الأخرى، وصفة النسيان مرتبطة بصفات المرأة الفطرية ومقوماتها الجسدية، فجسد الرجل أقوى من جسد المرأة والذاكرة تتعلق بقوة الجسد ووهنه. لذلك نجد أن النسيان لدى العجائز أكثر من الشباب، وهذا يعود إلى وهن الجسد مما ينعكس على الذاكرة. وعلمياً أثبتت الفحوصات الطبية بعد سلسلة من حوادث السير لدى النساء أكثر من الرجال بأن جهاز الذاكرة لدى المرأة هو أضعف من جهاز الذاكرة لدى الرجل، وهذا لا يعد نقصاً لدى المرأة، حيث نجد أن بعض أجهزة المرأة العضوية تتفوق في عملها على أجهزة الرجل بل قد لا يقوى الرجل عليها أساساً؛ فالرجل أيضاً لديه أجهزة أضعف من المرأة، مثال على ذلك عملية الحمل والإنجاب، لا يستطيع الرجل أن يقاوم لأن الأجهزة عنده غير مستعدة لذلك،

وتعود هذه الأسباب لحكمة تكامل الخلق واستمرارهم ضمن نظام محكم بديع، لا يوجد فيه أي خلل، ويمكن بأدنى تأمل أن نكتشف هذا النظام الشامل في الوجود.

الاختلاف في تكوين الرجل والمرأة يتبعه اختلاف في التشريع، وهذا أمر طبيعي. ما ليس طبيعي هو تفضيل جنس الرجل على جنس المرأة، حيث استندوا في ذلك إلى الاختلاف والتمايز في التكوين الجسدي المادي، والحال أنه لا فضل لأحد على أحد على أساس المعايير المادية، وإنما الاختلاف والتفاضل يكون على أساس المعايير الروحية، والروح موجودة في الرجل والمرأة على حد سواء، فلا تفاضل بينهما إلا بمقدار الاتقاء هذه الروح. لماذا تم تفضيل الرجل على المرأة في العصور السابقة؟

لأن العصور السابقة تميزت بالحروب والهمجية والتسلط والقوة غالباً، وعندما يغيب المنطق والعقل ويسود منطق القوة والعضلات فمن الطبيعي أن تحتقر المرأة بوصفها عنصر غير فاعل. أما عندما يسود المنطق والعقل ويفسح المجال للقيم والمعنويات أن تبرز وما يستتبع ذلك من فنون وجماليات حيث يستنشق القلب ورود الحياة وتنتشي الروح، فمن يستطيع أن يدعي تفوقاً على المرأة في هذه المجالات؟

والحمد لله رب العالمين

[1] سورة التحريم، الآيتان 11 و 12.

[2] سورة الانشقاق، الآية 84.

[3] سورة النساء، الآية 4.

[4] سورة طه: الآية 20.

([5]) حديث شريف.

اللهم صل على حبيبك وخير خلقك محمد وعلى آله الغر الميامين الطيبين الطاهرين.

يجب على كل أفراد المجتمع وعلى الرجال في البلاد الإسلامية أن يعلموا بأن نظرة الإسلام للمرأة هي عبارة عن تواجد المرأة في كل مجالات الحياة وعبارة عن تعلّمها وجدّها وسعيها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي في المجتمع، ويجب أيضاً أن يعلموا ما هو دور المرأة وواجبها في محيط الأسرة وخارجه. ومع هذا إن للإسلام نظرة بيّنة وواضحة بالنسبة للمرأة، وإذا أردنا أن نقارن هذه النظرة مع نظرة الثقافات الأخرى كالثقافة الغربية نجد أن النظرة الإسلامية ليست فقط قطعت أشواطاً كبيرة ومتقدمة بل لها تاريخ قديم يفوق عما هي عليه بالنسبة للرجل. وهذه النظرة الإسلامية الصحيحة للمرأة هي بسبب نجاح وتقدم البلاد وارتقاء المستوى النساء في هذه البلاد الإسلامية.

وفي مجال التكامل والنمو والترقي المعنوي للمرأة، إن المرأة لا تختلف عن الرجل في هذا المجال، يعني المرأة تستطيع أن تصل إلى أعلى درجات الكمال المعنوي كذلك الرجل يستطيع أن يصل إلى هذه الدرجات الرفيعة من النمو والتكامل المعنوي، فالمرأة تستطيع أن تصل إلى مستوى السيدة الزهراء (ع) والرجل أيضاً يستطيع أن يرقى درجات الكمال حتى يصل إلى مستوى الإمام علي (ع)؛ فالقرآن الكريم عندما يريد أن يذكر نموذجاً للإنسان المؤمن يختار من بين النساء، لا من الرجال {و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون...} {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها..} ([1]). الله سبحانه وتعالى يذكر نموذجين من النساء بصفتهما رمزاً للإنسان المؤمن لا رمزاً للمرأة المؤمنة، يعني الله تعالى عندما أراد أن يذكر نموذجاً لا مثيل له أو ينذر مثيله بين بني الإنسان ومثلاً لأعلى درجات الإنسانية والتكامل المعنوي لم يذكره من العظماء ولا من الشخصيات العلمية والدينية والأنبياء (ع) بل ذكره من النساء، حيث ذكر امرأتين كنموذج حي للإنسانية والتكامل المعنوي، إحداهما امرأة فرعون {إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة}. هذه المرأة هي التي كافحت هذه القدرة المتغترسة الطاغوتية المتمثلة بزوجها، هذه المرأة التي لم تخضع لظلم زوجها المقتدر الذي طغى بظلمه وعمله. إن عظمة هذه المرأة تتجلى في أن زوجها لم يستطيع أن يفرض عليها طريق الضلال وهي في بيته مع أن عظمته

وقدرته الواسعة استطاعت أن تسيطر وتهيمن على ملايين الرجال وجعلتهم رهن إرادته، بل عاشت هذه المرأة حرة وآمنت بالله وتركت طريق فرعون وطرق الضلال واختارت الطريق الإلهي القويم، لذا ذكرها القرآن الكريم نموذجاً بارزاً لا مثيل له أو ندراً ليس لبني جنسها فقط بل للبشرية جمعاء رجالاً ونساءً.

المرأة الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم هي مريم بنت عمران (ع) وأم عيسى (ع) {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها..}. هذه المرأة التي وقفت كالجبل الأشم أمام كل الظنون السيئة والتهم التي توجهت إليها من قبل سكان مدينتها ومنطققتها وأخذت بيدها روح الله وكلمته، هذه الآية العظمى التي زرعهها الله تعالى في نطفتها الطاهرة بقدرته وإرادته لتشق بها الظلام الذي كان مهيمناً على العالم في ذلك الزمان.

فهاتان المرأتان قد ملأتا الدنيا بنورهما وضيائها. النموذج الكامل للإنسان المثالي ولم ينتخب رجلين ولا رجل وامرأة ولا بد أن يكون لهذا الانتخاب سرّ خفي.

لقد جاء في الآية الشريفة من سورة الأحزاب أن الرجل والمرأة متساويان في الإيمان والقانون والخشوع والتصدق والصوم والصبر والاستقامة وحفظ العفة وذكر الله {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا}. إذن النشاطات التي تمارسها المرأة هي نشاطات مباحة وذلك بشرط المحافظة عليها. بممارسة المرأة لهذه النشاطات تضمن نصف الأيدي العاملة في المجتمع، حيث في الوقت الذي بدأت فيه المرأة بطلب العلم كان طلب العلم مقتصرًا على الرجال وكذلك عندما دخلت المرأة ميادين التدريس أصبح عدد المعلمون ضعف مما كان عليه سابقاً وذلك قبل دخولها في هذا الميدان وعندما كان التدريس مقتصرًا على الرجال فقط.

وقد أعطى الإسلام أهمية خاصة للمرأة في كل الأحوال سواء كانت زوجة أو أماً.

لاحظوا الأحكام الإسلامية هي منذ اللحظة الأولى من تشكيل نواة الأسرة هي إلى جانب المرأة، والإسلام يخالف تصرفات بعض الرجال الذين يحاولون فرض آرائهم وممارسة الظلم في حياتهم الزوجية.

إن المرأة هي التي تحافظ على الأسرة وتديرها، وهي العنصر الأساسي لبناء الأسرة وتشكيلها لا الرجل، لأن المرأة إن كانت عاقلة وفاهمة ومدبرة للأمور وربة بيت ممتازة تستطيع أن تحتفظ على الأسرة إن غاب الرجل عنها لسبب وفاته أو غيره، أما الرجل فلا يستطيع أن يحافظ على بنين الأسرة إذا ما غابت المرأة عنها، ولهذا أكد الإسلام على دور المرأة في داخل الأسرة. أرجو من الشابات والدارسات والسيدات المتعلمات والعالمات، أن ينتبهن جيداً كي تكون العقيدة الإسلامية نسبة إلى المرأة، جلية واضحة.

والإسلام ينظر إلى المرأة من خلال عدة جوانب منها: دور المرأة على أنها إنسانة في طريقها إلى التكامل المعنوي والنفسي. في هذه النظرة، لا يوجد أي فرق بين المرأة والآخرين. كان هناك نساء عظيمات وبارزات، كما كان من الرجال في القرآن الكريم، عندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يضرب مثلاً للمؤمنين، يضرب المثل من النساء. إن نموذج وشخصية السيدة الزهراء (ع) من أرقى وأسمى الشخصيات الإسلامية، بل ونستطيع أن نقول أرقى شخصية على مدى التاريخ البشري.

كما أشار الرسول (ص) إلى هذه المسألة عندما قال للسيدة الزهراء (ع) "أما تحبين أن تكوني سيدة نساء العالمين"، حيث أجابت (ع): فكيف مريم (ع). يعني كيف أكون سيدة نساء العالمين وقد صرح القرآن الكريم بأن السيدة مريم (ع) هي سيدة النساء، فأجاب الرسول (ص) قائلاً: إن مريم (ع) سيدة نساء عصرها، وأنت سيد نساء العالم من الأولين والآخرين.

إذا استطاعت الأذهان الساذجة والنظرات المحدودة أن تدرك شخصية السيدة الزهراء (ع) لأدعت بأنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، هذه الشخصية التي استطاعت ومنذ نعومة أظفارها أن تصل إلى أعلى مدارج المعرفة والكمال المعنوي والعلمي، واستطاعت أن ترتقي منزلة الأولياء والأنبياء

(ع)؛ فالسيدة الزهراء (ع) هي الفجر الذي أشرقت فيه شمس الإمامة والولاية والنبوة وهي السماء التي احتضنت كواكب هذه الولاية المتألثة.

لقد كان الأئمة (ع) يكونون احتراماً وتقديراً وإجلالاً عظيماً لأُمهم الزهراء (ع).

إذا استطاع المجتمع الإسلامي أن يجعل من الزهراء وزينب (عليهما السلام) ومن النساء العظيمات اللواتي استطعن أن يتركن أثراً إيجابياً عبر التاريخ على العالم بأسره أسوة حسنة، تستطيع المرأة وفي ظل هذا المجتمع أن تصل إلى أعلى وأرقى مدارج الكمال الإنساني، وعندما تصل المرأة إلى هذه المنزلة الرفيعة من الأخلاق والكمالات المعنوية والأخلاقية تستطيع أن تربي أولادها تربية صحيحة وأن تضمن جو أسري قيوم يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يد سعادته ضمن هذا الجو السليم الآمن. لذا فتقدم وتطور المجتمع مرهون بحصول المرأة على حقها الطبيعي.

أيتها النساء الكريمات، أخواتي وبناتي المحترمات، إن العظمة والمنزلة الرفيعة التي وصلت إليها نساء صدر الإسلام لا تخص نساء ذلك الزمان فقط، بل المرأة وتحت ظل أي حكومة كانت وفي أي أسرة كانت تستطيع أن تصل إلى هذه العظمة والمقام الرفيع وذلك إذا كانت تربيته صحيحة وصائبة. فزماننا حافل بنساء عظيمات حققن خطوات جبارة في مسيرة التاريخ البشري سواء في بلادنا أم البلدان الإسلامية الأخرى، فهذه الشهيذة الفاضلة بنت الهدى (رض) أخت الشهيد الصدر (رض) استطاعت أن تترك أثراً عظيماً في تاريخنا المعاصر وفي ظل حكومة ظالمة وطاغية، واستطاعت أن تؤدي دوراً في مسيرة الحركة الإسلامية فهي لا تقل عن الرجال شجاعة وكرامة حيث استطاعت أن تصل إلى أعلى درجات الكمال ونالت الشهادة التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، فحركتها هذه لا تختلف عن حركات الرجال ونهضاتهم لأنها حركة تكاملية تكشف عن عظمة الشخصية وجوهرها القيم، فهكذا يجب أن تكون نساءنا.

ومجتمعنا أيضاً لا يخلو من أمثال هؤلاء النساء؛ فقد كان لنسائنا دوراً فاعلاً وهاماً في مسيرة الحركة الإسلامية أيام الحكم الجائر، وكذلك بعد انتصار الثورة الإسلامية ساهمت المرأة في تحكيم قواعد هذه الدولة المباركة. فهذه الأمهات والزوجات قدمن رجالاً أفضالاً ومضحين دافعوا عن حريم الإسلام

وبيضته وذلك خلال الصراع المرير الذي خاضته إيران مع أعداء الإسلام. وقد واجهت ورأيت العديد من هؤلاء النساء اللواتي كان عطائهن أعظم من الوصف والتقدير.

[1] (آية 11 و 12 من سورة التحريم).

إن نظرة الإسلام لحياة الإنسان وشؤون المرأة يمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام، وأنا سابقاً أشرت إلى هذا الموضوع، ولكن أحب أن أذكر مرة أخرى وخاصة فيما يتعلق بنساء بلادنا الإسلامية.

إن الذي يجب أن يكون له نشاط في هذا المجال (مجال شؤون المرأة) هم نساء مجتمعنا. إذ كان هناك قصور بحق المرأة المسلمين في المجتمع الإسلامية سواء كان في إيران أو بعض الدول الإسلامية. باعتقادي أن جزءاً منه يرجع إلى النساء أنفسهن، والجزء الآخر يكون بسبب الرجال، لأن الذي يجب عليه أن يعرف حقوق المرأة في الإسلام وأن يدافع عنها هي المرأة بالدرجة الأولى. يجب على النساء أن يعرفن ماذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم حول المرأة وماذا يريد من المرأة، ويجب أيضاً أن يعرفن من الذي يحدد مسؤولية المرأة حتى تستطيع أن تدافع عن حقها بما يقوله الإسلام وفي إطار الإسلام، وإذا كانت المرأة بعيدة عن هذه الأمور سوف تسمح لفاقدي القيم الإنسانية أن يمارسوا الظلم بحقها، كما نلاحظ في المجتمع الغربي الخاضع للأنظمة المادية، وبالرغم من هذه الشعارات والهتافات بحق المرأة نجد أن أكثر الظلم الذي يُمارس بحق المرأة في هذا المجتمع هو من قبل الرجال، فنجد ظلم الأب لابنته والأخ لأخته والزوج لزوجته وحسب الإحصائيات والأرقام الموجودة وعلى المستوى العالمي نجد أن نسبة كبيرة من الظلم والتعدي يمارس من قبل رجال هذه المجتمعات الغربية بحق نساءه.

إذ لم تحلّ القيم المعنوية مكانها الطبيعي، وإذا لم تكن هي السائدة في نظام من الأنظمة، سوف تخلو القلوب من القوة المعنوية الإلهية وسيجد الرجل طريقه لممارسة الظلم بحق النساء مستعيناً بقدرته الجسمانية المادية.

إن الرادع الحقيقي لممارسة الظلم يتمثل في الله والإيمان بالقانون.. وأيضاً في معرفة المرأة لحقوقها الإنسان والإلهي والدفاع عنه وسعيها لتحقيقه بكل معنى الكلمة.

إن المجال مفتوح أمامها بشرط أن تحافظ على عفتها وعفافها وأن تبتعد عن مسألة الاختلاط. إذن المجال مفتوح كل لمن المرأة والرجل. وهناك كثير من الكتابات الإسلامية تشير إلى ما نقوله وحتى الأوامر والواجبات الإسلامية في هذا المجال تحمّل كل من الرجل والمرأة مسؤولية اجتماعية واحدة كما ذكر "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم". هذا الخطاب لا يخص الرجال فقط بل يخاطب النساء أيضاً، على النساء أن يهتمن بشؤون المجتمع والعالم الإسلامي بل بكل ما يحدث في العالم ويعتبر هذا واجب إسلامي.

وفي مجال الأسرة لقد أشرنا سابقاً إلى نشاط المرأة في مسألة التكامل المعنوي، وأيضاً أشرنا إلى الحكم النظرية الإسلامية بالنسبة لكل أنواع النشاطات الأخرى، أما في هذا القسم نريد أن نطرح مسألة دور المرأة الأسري يعني دور المرأة بصفقتها زوجة وأماً، والأحكام الإسلامية في هذا المضمار قد وصلت إلى درجة من الوضوح والجلاء والرفعة حتى يشعر الإنسان بالعزة والفخر عندما يراها ويواجهها.

ومن واجبات المرأة داخل البيت والجو الأسري تربية الأولاد. إن البنات اللواتي يمتنعن عن إنجاب الأطفال بسبب نشاطاتهم خارج البيت، عملهن هذا يخالف الطبيعة الإنسانية للمرأة ورضوان الله تعالى.

إن اللواتي يعرضن عن تربية أولادهن أو إرضاعهم أو يحرمن أطفالهن من العطف والحنان الذي يمكن أن يجده أي طفل في حضن أمه وذلك بسبب بعض الأعمال التي لا تتوقف إدارتها عليهم، فليعرفن أنهن قد ارتكبن خطأ فادحاً. وإن أفضل طريقة لتربية الأطفال هو تربيتهم في أحضان أمهاتهن المملوءة بالحب والحنان والعطف، واللواتي يحرمن أطفالهن من هذا الحب والحنان فقد ابتعدن عن جادة الصوابن لأن هذا الحرمان لا يضر الطفل وحده بل يرجع ضرورة إلى المجتمع كله، وهذا ما يُجيز به الإسلام.

ومن واجبات المرأة تربية أولادها تربية صحيحة ودقيقة وإحاطتهم بعطفها واهتمامها. عندما يصل كل من البنت والصبي إلى سن الرشد إذا كانت تربيتهم تربية صحيحة يكونون في مأمن من العقد النفسية والمشاكل والبؤس والشقاء والذلة والبلاد وكل هذه الأمور يتلى بها أكثر شباب المجتمعات الغربية في أوروبا وأمريكا.

إذا التزمت المرأة بالأسرة وتربية أولادها، وإذا اهتمت بإرضاعهم وإعطائهم الحب بأحضانها الحنونة، وإذا ما غذتهم الثقافة الصحيحة وعلمتهم الأحكام والقصاص القرآنية والمواقف التعليمية والتربوية، وأيضاً إذا استفادت من كل الفرص والأوقات لتغذي أطفالها هذا الغذاء الجسماني، تستطيع أن تقدم للمجتمع جيلاً رفيعاً ورشيداً.

وكل هذه الأعمال التي تقوم بها المرأة لا تنافي مع طلبها للعلم أو ممارستها للتدريس أو السياسة وغيرها من النشاطات الأخرى.

وصيتي لأخواتي وبناتي العزيزات أن يزدن من كسب معلوماتهن. يجب أن يعتبرن الكتاب، المطالعة، الدقة، البحث، الدرس، المشاركة في حل المشاكل التي هي مصدر ابتلائنا اليوم، والاهتمام بالأعمال الدينية، يجب أن يعتبرنها جزء من اهتمامهن ومسؤولياتهن، مثلما يكون الرجال مسؤول عنها.. أنتن اللاتي تربين الأولاد الصالحين.. أنتن اللاتي تشجعن أزواجكن للدخول في الميادين والمجالات الحسنة.. كثير من النساء يجعلن أزواجهن من أهل الجنة، وينقذونهم من مشاكل الدنيا والآخرة.

في مرحلة إعادة البناء في إيران الإسلام يحاول كل من الشعب والحكومة الإسلامية تحقيق مسألة إعادة البناء مادياً واجتماعياً ومعنوياً إعادة حقيقية في هذا البلد الإسلامي وذلك بالاتكاء والاعتماد على الأيدي العاملة، يعني إذ أرادت أي دولة أن تحقق مسألة إعادة البناء وإعمار البلاد بصورته الحقيقية والمؤثرة يجب أن يكون اهتمامها الأول بالأيدي العاملة في تلك البلاد.

وعندما نشير إلى الأيدي العاملة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بأن النساء يشكلن نصف عدد هذه الأيدي في البلاد، لذا نقول إذا كانت هناك نظرة خاطئة في المجتمع بالنسبة للمرأة لا يمكن من خلالها تحقيق مسألة الإعمار وإعادة البناء الشامل.

إن المرأة في صدر الإسلام بالإضافة إلى تضييدها لجروح الجرحى (لأن هذه الأعمال كانت في أكثر الأحيان على عاتق المرأة)، كانت تشترك في ميادين الحرب حاملة السيف لتحارب، في نفس الوقت كانت في بيتها تحتضن أطفالها لتربيتهم تربية إسلامية. كل هذه الأمور كانت تمارسها المرأة بحجابها وعفافها ولا تناقض بين الأمرين.

إذا ما دققنا في الأمر نجد أنه لا يوجد أي تناقض بين هذه الأمور وحجاب المرأة، لكن البعض اتخذ في تفسير هذه المسألة طريق الإفراط والآخر طريق التفريط. فالبعض يقول مثلاً إن النشاطات الاجتماعية تمنع من الاهتمام بالزوج والأولاد لذا يجب الاحتراز منها.

والآخر يقول بما أن الزوج وتربية الأولاد عقبة في طريق النشاطات الاجتماعية للمرأة لذا يجب محو هذه العقبة.

والنظرتين بعيدتين عن الصواب. يجب أن لا نضع شيء مقابل الآخر. للمرأة واجبات في الأسرة وهي ركنية وأساسية المرأة في الأسرة وأيضاً تربية وهداية أطفالها، والمرأة أيضاً السند الروحي لزوجها، ففي فترة النضال والكفاح ضد النظام الطاغوتي في إيران، كثير من الرجال كان لهم دور بارز في ميادين الجهاد لكنهم لم يستطيعوا أن يواصلوا كفاحهم هذا بسبب وقوف نسائهم كحجر عثرة في طريقهم وذلك لأنهن لا يتحملن مصاعب ومتاعب الجهاد ولفقدانهن العفو والتسامح.

وكثير من النساء عكس ما ذكرته، هن اللواتي شجعن أزواجهن على الجهاد والنضال والمقاومة والتصدي للنظام البائد حيث ساعدن أزواجهن وكن خير سند روحي لهم.

في سنة 1356.1357 (1977.1978م) في ذلك اليوم الذي اكتظت فيه شوارع إيران بالناس، كان للنساء دوراً بارزاً في التعبئة وإرسال أزواجهن وأولادهن إلى ميادين الكفاح والمقاومة والمظاهرات العدوانية ضد الحكم الجائر.

إن النساء في أيام الثورة والحرب المفروضة قد جعلن من أولادهن فدائيين وحتى معوقين في سبيل الإسلام والدفاع عنه، وقد جعلن من أزواجهن أناساً مقاومين أقوياء.

وهذا هو دور المرأة وهذا هو تأثيرها في أولادها وزوجها، هذا هو الدور الذي تستطيع المرأة أن تؤديه في أسرتها، ويعتبر برأيي من أهم الأدوار وأعظمها.

وأهم دور للمرأة تربية أولادها ومساندة زوجها روحياً ليستطيع أن يقتحم مجالات الحياة العظيمة، ونشكر الله ونحمده بأن المرأة الإيرانية قد خطت خطوات عظيمة في هذا المجال.

إن نساء إيران الواعيات والشجاعات والقويات والصبوريات كان لهن دور فاعل في زمن الثورة والحرب المفروضة وذلك في جبهات القتال وحتى في بيتها.

ولنسائنا اليوم دور فاعل في المجالات السياسية والثقافية والثورية وحتى على صعيد النشاطات العالمية لهن دور فاعل أمام الأعداء في العالم كله. فإن مجلس الشورى الإسلامي يحتوي عدد مناسب كماً وكيفاً من النائبات. ونحن نشعر بضرورة دخول المرأة العاملة والفاهمة والمثقفة والحكيمة ميدان العمل الصحيح لضمان حقوقها الواقعية حتى لا تسمح لعوام الناس التصدي لهذه الأمور.

إن المفسرين والمحللين السياسيين الذين يهتمون ويفسرون قضايا بلادنا العزيزة عندما يرون هذا المجتمع العظيم وهذه الإرادة القوية وهذا الوعي والرغبة، يحسون بالتقدير والاحترام بالنسبة إلى إيران العظيم والشعب المحترم والنظام الجمهوري الإسلامي.

بعد الثورة، أي منذ بداية انتصار ثورتنا حضرت النسوة في ميادين الكفاح السياسي وأثبتن دورهن، منذ ذلك الحين، تغير الوضع إلى حد كبير. إن دور المجموعات النسوية في انتصار الثورة، وباحتمال كبير،

كان أكثر من المجموعات الرجالية، يعني حضور النساء في ساحات الكفاح السياسي، وكان دور ذو عدة جوانب. الرجل الذي كان شخصاً واحداً، كان هو يأتي بنفسه إلى ساحات القتال ويحضر في الاجتماعات أو في المسيرات، ويشارك فيها، هكذا فقط. أما عندما تعتقد ربة البيت، أنها شريكة في القتال وتنزل إلى الساحة ففي الواقع أنها تأتي بالبيت كله إلى ساحة القتال. البيت الذي منه الرجل، المرأة، الأولاد، كانت تجعل الجميع يحضرون في ساحة القتال.

في الحرب أيضاً، إن لم تصبر أمهات وزوجات الشهداء، لتعرضت الحرب إلى مشكلات كثيرة وكبيرة. دور النساء هذا كان دوراً بارزاً جداً. هذا الدور في المجتمع جعل نساءنا يتعرضن إلى التطوع والنمو السياسي. عندما تكون المرأة متعلمة على الأمور السياسية، لا يمكن لأحد أن يفرض عليها الباطل بسهولة ويسحق حقها.

هذا الشيء حدث في زمن الثورة.

إن المهم في يومنا هذا، هو أن الإسلام مع قوانينه ومعارفه على أتم الاستعداد للدفاع عن جميع طبقات مجتمعنا، امرأة ورجل، قروي ومدني، الطبقات المختلفة، خاصة الطبقات الضعيفة، النظام الإسلامي والأحكام الإسلامية على أتم الاستعداد للدفاع عن المظلومين في كل مكان، وعلى أساس هذه النظرة، يعمل الاستكبار العالمي على حياكة المؤامرات ضد الجمهورية الإسلامية، نادراً ما يمر شهر واحد والاستكبار بجميع تشكيلاته وأجهزته وشركاته وبأدمغة مرتزقة والمؤسسات التخطيطية التابعة له، التي تكون دائماً منهمكة ومشغولة بتخطيط مشاريع حياكة مؤامرات ضد الشعوب والدول الحرة، للإيقاع بنظام الجمهورية الإسلامية، أحياناً يحدث ذلك أسبوعياً وحتى يومياً ويستمر ذلك على الدوام.

إن جميع مساعي الاستكبار ضد الجمهورية الإسلامية، بفضل الخالق تبارك وتعالى، ذهبت هباءً وفشلت وذلك بسبب هذه التجمعات، وهذا التودد، وهذه الروابط، وهذه المعلومات التي يتعامل بها نساء ورجال بلدنا بحمد الله، وفي ميدان المواجهة مع هذا الشعب العظيم، تمرغ أنف الاستكبار ولمرات عديدة في التراب.

فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بذلت مساعٍ كثيرة للدفاع عن المرأة وحقوقها؛ فأصبحت المرأة في موضع إجلال واحترام وتقدير، وكان الإمام يقدر المرأة ويكن لها احتراماً خاصاً. فهذه النظرة الإيجابية جعلت المرأة تتمتع بدور فاعل ومؤثر في المجتمع، فلقد كان للمرأة دوراً كبيراً في انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ولولا المرأة لما استطاع الإسلام أن ينتصر في إيران بهذه العظمة والروعة، بل ونستطيع أن نقول لما تحقق النصر في إيران مطلقاً أو لواجهت إيران مشاكل في طريق هذه الثورة المباركة. فتواجد المرأة في الساحة كان له دوراً فاعلاً ومؤثراً حتى أيام الحرب المفروضة؛ فقد حققت المرأة إنجازات رائعة في الدفاع عن الإسلام ونصرته.

إن الحجاب بين الرجل والمرأة في الإسلام له حكمة إلهية، وقد أكدت الشريعة على قبح تبرج المرأة وظهورها لغير زوجها، وقد جاء في الأحاديث الإسلامية والأحاديث النبوية حول حكمة الحجاب باعتباره حفاظاً بين الرجل والمرأة وفي مكان خاص.

ومنذ اللحظة الأولى من تشكيل الأسرة يشترك كل من الرجل والمرأة في هذه الحياة الزوجية ويجب أن يتعامل كل منها بحبٍ وحنان مع الآخر ولا يحق لكل منهما أن يفرض رأيه على الآخر، إن الأحكام الإسلامية التي تنظم علاقة الرجل والمرأة أحكام دقيقة للغاية، والإسلام عند تشريعه هذه الأحكام أخذ بعين الاعتبار مصلحة المجتمع الإسلامي ومصلحة كل من الرجل والمرأة.

الرجل في بعض المواقف فقط يستطيع أن يمارس سلطته على المرأة، وأنا سأشير إلى بعضها:

مثلاً الرجل يستطيع أن يمنع المرأة من الخروج من البيت بدون إذنه بشرط أن لا يكونا قد اشترطا أثناء العقد شرطاً يخالف هذا الحق "حق الزوج"، وهذه واحدة من أسرار الحكم الإلهي في هذه المسألة حيث أعطى للزوج فقط حق هذا المنع ولم يعطه حتى للأب، الأب لا يستطيع أن يمنع ابنته من الخروج من البيت دون إذنه، وحتى الأخ لا يستطيع أن يمارس هذا الحق، أما الزوج فهو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يمنع خروج زوجته من البيت دون إذنه. طبعاً تستطيع النساء أن يضعن بعض الشروط أثناء عقد الزواج وعندئذٍ يجب على كل من الزوج والزوجة أن يعملوا بهذه الشروط، فمتى ما كان

هناك شرط ضمن العقد فهذا بحث آخر. وإن خلا العقد من أي شرط فيجب على المرأة أن تطيع الرجل في هذا المجال الذي ذكرناه سابقاً.

على المرأة أيضاً أن تطيع الرجل في أمور أخرى لم نذكرها خلال هذا البحث. وكل هذا بسبب طبيعة كل من الرجل والمرأة، فلكل منهما له طبيعته ومزيتته الخاصة، لذا لا يمكن أن يُرجى من الرجل أن تكون له روحيات المرأة، لذا من مصلحة البشرية بل ومن مصلحة المجتمع والنظام الاجتماعي أن تُراعى في التعامل الأسري هذه الروحيات الخاصة لكل منهما، لأن رعاية هذه المسائل هي سبب سعادة الرجل والمرأة ولا يمكن لأي واحد منهما أن يمارس الظلم والتجبر والاستعباد بحق الآخر، فبعض الرجال يتصور أن واجب المرأة أداء كل الأعمال التي تخدم الرجل، وطبعاً في المحيط الأسري إذا كانت العلاقة الزوجية مبنية على الحب والتفاهم سعى كل واحد منهما بشوق ورغبة لخدمة الآخر، وأداء واجبه بشوق ورغبة يختلف عما إذا أدى الإنسان عمله بصفته مجبور وملزم، مثلاً أن تكون المرأة كالخادمة في عملها في البيت وهذا يخالف الشرع الإسلامي الحنيف.

في الدين الإسلامي، لم يُسمح للرجل أن يمارس الظلم بحق المرأة ويفرض عليها أمراً ما، لقد تقرر للرجل في العائلة حقوقاً محددة تقوم على أساس كمال المصلحة والحكمة، ويجب أن تُوضَّح وتعرَّف، ويجب أن تكون للمرأة حقوق معيّنة أيضاً تجاه الرجل. الرجل والمرأة كلّ له طبيعة وأخلاق وروحانية وغرائز خاصة تخصه. ولو استفيد من هذه الأخلاق الخاصة من قبل كل من الرجل والمرأة، بصورة صحيحة في العائلة لأصبحتا يشكّان زوجين كاملين ومتناغمين ومتساعدين، لو أفرط الرجل لاختل التوازن، ولو أفرطت المرأة اختل التوازن أيضاً.

إن الإسلام أقر بأن الجنسين في العائلة كطالقتي باب، أو كعنين في وجه الإنسان، أو جنديين في موضع واحد في ساحة حرب الحياة، أو كاسمين شريكين في محل واحد، كل له طبيعته وخصوصياته وخصاله، جسمه، روحه، فكره، غرائزه، وعواطفه، تخصه دون غيره، لو عاش هذان الجنسان معاً بتلك الحدود والموازن التي عيّنها الإسلام، لأصبحت العائلة، عائلة ثابتة ومتحابّة ومباركة وكثيرة الخير والفائدة.

هدف الإسلام هو الوصول إلى الكمال الإنساني، فلا فرق بين المرأة وبين الرجل فكلاهما سواء في الجانب الإنساني والمعنوي، فنجد الإسلام تارة يثني على المرأة ويكرمها وأخرى يكرم الرجل ويمدحه، لأنها ركنا أساسيان لجسد واحد ولا فرق بينهما، وأيضاً لو دققنا النظر في آيات القرآن الكريم نجد أن الله ضرب مثل امرأة فرعون كنموذج حي للإنسان المؤمن وضرب مثل امرأة لوط ونوح كنموذج للإنسان الكافر، وفي آيات ومناسبات أخرى ذكر الرجال ومواقفهم، وهكذا نرى الإسلام لا يفرق بين الجنسين، فملاك الأرجحية والأفضلية يكمن في تحلي النفس بالأخلاق الفاضلة وامتلاكها القدرات والإبداعات وأداءها الواجبات والمسؤوليات.

لذا يجب معرفة طبيعة كل من الرجل والمرأة وذلك لتمييز الواجبات الملقاة على عاتق كل جنس من هذين الجنسين، لأن الإسلام قائم على أساس العدل والإنصاف، فاختلف الواجبات يرجع إلى اختلاف الطبيعة التي جبل عليها كل من الرجل والمرأة، فحقوق المرأة متساوية مع حقوق الرجل، ولكن ربما نجد بعض الأحكام والواجبات الملقاة على عاتق المرأة ليست بعينها على الرجل، وهذا يرجع إلى الاختلاف الذي ذكرناه بين طبيعة الجنسين.

لذلك يجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي الأساس لنستطيع من خلالها أن نعطي للمرأة حقوقها ومكانتها الاجتماعية المناسبة.

والمسألة الأخرى التي أود أن أطرحها هي مسألة تعديل القوانين التي تتعامل مع كل من المرأة والرجل؛ فبعض هذه القوانين هي بحاجة إلى إصلاح وتعديل، فعلى المتخصصين بهذا المجال الاهتمام بهذه المسألة. ومن المسائل المهمة الأخرى هي مسألة بيان وتفسير نظرة الإسلام لحقوق المرأة والرجل، فعلى النساء وخاصة اللواتي لهم إمام ومعرفة بالأحكام والشريعة الإسلامية الخوض في هذا المجال وخاصة مجال اختلاف الحقوق المعطاة للرجل والمرأة.

فيجب أن يعرف الناس أن اختلاف الحقوق هذه يرجع إلى اختلاف الطبيعة البشرية بين المرأة والرجل.

ويجب أيضاً الابتعاد عن ذكر بعض المواضيع التي ربما تحرف الفكر وتشوشه، فمن هذه المواضيع هو موضوع دية الرجل والمرأة واختلاف قيمتها، لأنه لا فائدة من وراء طرح هذه المواضيع وأمثالها لأن نظرة الإسلام إلى الأسرة وبناءها والحقوق المترتبة عليها نظرة واضحة وبيّنة.

إن ظلم الثقافة الغربية للمرأة يفوق بقية الثقافات الأخرى؛ ففي ظل الثقافة الغربية المعروف أن كل من الرجل والمرأة متساويان في التعامل الاجتماعي، أما الإحصاءات الدقيقة تشير إلى المرأة الغربية تتعرض لظلم ضمن نطاق الأسرة حيث لا يود أي اهتمام لرأيها ولا لثورتها ولا لسعيها، وأكبر ظلم يتوجه للمرأة الغربية هو علاقة زوجها العاطفية والجنسية والحميمة مع النساء الأخريات مع أن المرأة ترغب وتميل إلى أن يكون زوجها أقرب إليها من أي أحد آخر.

إن مسألة تعرض النساء الغربيات إلى الضرب والظلم وخاصة المرأة الأمريكية حيث نشرت الصحف الأمريكية إحصاءات وأرقام فظيعة حول الظلم المتوجه للمرأة من قبل الرجل وذلك في المحيط الأسري العائلي، فعلى المدافع عن حقوق المرأة أن لا يستعين بالثقافة الغربية لأنه وبعمله هذا أولاً: لا يصل إلى نتيجة، وثانياً: لا يحظى برضوان الله تعالى. ومن الضروري فهم نظرة الإسلام الصحيحة للمرأة، وإذا فهمت هذه النظرة الإسلامية يكون الدفاع عنها والسعي لنيلها أمراً مطلوباً. إن معرفة المشكلة الحقيقية تحتاج إلى ابعاد التخيلات والتصورات التي تحيط وتختلط بالحقائق الإسلامية.

أيتها الفتيات والنساء والمؤمنات، إن أوروبا التي تدعي حرية المرأة قبل نصف قرن لم يكن للمرأة الأوروبية والأمريكية حق التصرف بثروتها الشخصية وكان يجب عليها أن تضعها تحت تصرف أخيها أو أبيها أو زوجها ليستطيع التصرف بها لصالحها أو لصالحه، أما في الإسلام فالمرأة هي المالكة لثروتها ولها حق التصرف بها سواء رضي الزوج أو الأب أو لم يرضَ ولا يستطيع أحد أن يمنعها.

إن النظرة الإسلامية في استقلالية المرأة اقتصادياً قد سبقت العالم، حيث صرح الإسلام بهذه المسألة قبل ثلاثة عشر قرناً. أما في أوروبا فلم يُصرح بهذه المسألة إلا قبل أربعين أو خمسين سنة، وحتى إن بعض الدول لم تعط للمرأة استقلاليتها الاقتصادية إلا قبل سنين أخيرة حيث سُمح للمرأة حق التصرف بأموالها. لذا نقول إن الإسلام قد سبق غيره في هذه المسائل.

إن المرأة في الغرب لم تعط اهتماماً للأسرة وتربية الأطفال. لذا نرى المجتمعات الغربية مملوءة بالشباب والأحداث المجرمين، ففي أوروبا وأمريكا وتحت ظل الحضارة المادية والقصور الشامخة والمراكز النووية وناطحات السحاب الشاهقة ذات المائة طابق وفي ظل هذه التطورات العلمية والتكنولوجية، نجد الأحداث وهم في سن العاشرة أو الثانية عشر قد اتخذوا طريق الإجرام مسلماً، فهذا السارق وذاك القاتل والمُهْرَب والمعتدي، يدخون السجائر والحشيش وغيره، وكل هذه الأمور بسبب جهل المرأة الغربية بقيمة ومنزلة الأسرة.

لم يكن وضع المرأة الغربية سابقاً مثلما هي عليه الآن، لكن قبل 30 أو 40 أو 50 سنة بدأ وضع المرأة الغربية وخاصة في بعض الدول الأوروبية وأمريكا بالتردي والانحطاط، عندما سلكت المرأة الغربية هذا الطريق المنحرف لم تكن تتوقع أن تتصور بعد ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة أخرى سيبتلى المجتمعات بهذه البلايا، فنرى الأولاد والأحداث وحيث لا يتجاوز سنهم عن اثني عشر عاماً يحملون مسدساتهم وشفراتهم في جيوبهم يتسكعون ليلاً ونهاراً في شوارع نيويورك ولندن وبعض الدول الغربية وان استطاعوا قتل أحد يقتلوه دون أي أهمية وكل هذا بسبب انهيار أساس الأسرة ونواتها.

اليوم في عالم الغرب، يكون أساس العائلة ضعيف جداً، العوائل . خاصة النساء . تعاني من الانفصال وكثرة الأعمال، لو انهدمت العائلة العائلة . لا سمح الله . فإن المرأة والرجل، على حد سواء، سيبتحرون ويتشردون ويتألمون ويلاقون العذاب. أما المرأة، فيكون نصيبها من العذاب أكثر في عالم الغرب، تعاني المرأة من هذا العذاب، لأن العوائل تنهدم بسهولة، تفنى وتزول، وأحياناً النساء هن يطلبن ذلك، لكن يكون الوقع والتأثير عليهم أكثر وأشد.

البعض تكون نظرتهم ظاهرية للأشياء، ينظر إلى المحيط الاجتماعي في الغرب، يرى فيه أن المرأة تأتي وتذهب دون أن تعير أية أهمية، يخال أنها داخل العائلة هكذا تتصرف أيضاً وهذا هو الخطأ. لقد وقع الظلم على النساء كثيراً في المحيط العائلي. الإسلام يمنع ذلك. لو حصل قصور في هذا الصدد في مجتمعنا، يجب الحيلولة دونه وتتم الحماية القانونية عن المرأة بكامل القوة والإصرار.

لأننا وكما نعرف لا تُوجد في الدول الغربية وكذلك في الدول التي تعيش في ظل الثقافة الغربية حركة باسم حركة المطالبة بحقوق المرأة بل يوجد بما يُسمى بالفيمينيسيم (Feminisme)، هذه الحركة تتبع أساليب الإفراط والتفريط في مسألة حقوق المرأة وإعطائها حريتها.

وهذا ما نشاهده في إيران اليوم هل هو عين الفيمينيسيم (Feminisme)، أم يختلف عنه اختلافاً كلياً؟

من المؤسف أن الغرب يفسر الحرية بالتححرر من القيود الأسرية والالتزامات الزوجية وتأسيس الأسرة وتربية الأولاد لأنهم يعتبرون هذه الأمور تبعات شهوانية تعترض الإنسان ولا يجب على أحد أن يتقيد بنتائجها، لذلك نرى الغرب يعلن مصرحاً بمسألة حرية الإجهاض.

وبما أن هذه المسألة يعني حرية الإجهاض تبدو مسألة سهلة عادية، لكنها في الحقيقة والواقع تضرر تبعات ونتائج لا يمكن غض النظر عنها.

فمسألة حقوق المرأة والمطالبة بها يجب أن لا يكون الداعي لها اتهام المجالات والتقارير التي يكتبها الغرب وساستهم بأن إيران الإسلامية أهملت حقوق المرأة ولم تهتم بها، فنحن إذا كان هدفنا من الدخول في هذا المجال يعني مجال الدفاع عن المرأة هو أن لا تتأخر عن الغرب في هذه المسألة وأن لا يكون لهم نظرة سلبية تجاهنا نكون قد ارتكبنا خطأ فادحاً وعظيماً، ونكون قد ارتكبنا نفس الخطأ إذا خضنا هذه المسألة معتقدين بأن الغرب خطأ خطوات صحيحة وصائبة فيها. ومن المؤسف أن نجد بعض المقالات والخطب التي تحمل عنوان الدفاع عن حقوق المرأة وإعطائها حريتها قد تأثرت بما كتبه الغرب وبما دسه من التهم والافتراءات حول موقفنا من هذه المسألة، لأننا إذا كان هدفنا الإجابة عما يفتره الغرب من الإشاعات والتهم نكون قد انحرفنا عن جادة الصواب، لأن واجبنا الأساسي يكمن في التعرض على الحقائق التي نستطيع من خلالها أن نصل إلى هدفنا السامي المرموق، وكل هذه الحقائق تحويها الشرعية الإسلامية السمحاء.

أود أن أشير إلى بعض المشاكل التي يتعرض إليها الغرب وثقافته في مجال حقوق المرأة ومن ثم أشير إلى العقيدة الإسلامية في هذا المضمار.

لقد أفرط الغرب في تعامله مع المرأة، فها نحن نجد شعارات الغرب تنادي بالمرأة وحقوقها ومساواتها مع الرجل، كل هذه الشعارات شعارات خاوية وبعيدة عن الواقع الموجود، لأن نظرة الثقافة الغربية للمرأة قائمة على أساس عدم المساواة بينها وبين الرجل، ولا يمكننا التعرف على الثقافة الغربية من خلال هذه الشعارات المطروحة، وإنما هذه الثقافة تتجلى من خلال الأدب والشعر الأوربي، فالمطلع على هذا الأدب يجد أن الغرب اعتبر المرأة منذ القرون الوسطى وحتى يومنا هذا عنصراً ثانوياً بعد الرجل؛ فهذه القصص الروايات الأوربية تحمل هذا المعنى بين طياتها؛ فمسرحية شكسبير المعروفة روميو وجوليت والتي تعتبر من إبداعات الأدب الأوربي تعكس هذه النظرة الثانوية للمرأة.

فمن الأعراف الأوربية والتي تعكس تحكم الرجل بالمرأة ومسوخ هويتها هي مسألة تغيير المرأة اسم عائلتها ولقبها بعد الزواج فتحمل لقب زوجها واسم عائلته، أما في بلادنا المسألة تختلف كلياً حيث تبقى المرأة وحتى بعد الزواج تحتفظ بنفس اللقب التي كانت تحمله قبل زواجها.

ومن الأمور التي لا يستطيع الغرب إنكارها هي أن الرجل في ظل الثقافة الغربية السائدة في المجتمعات الأوربية بعد أن يتزوج بالمرأة لا يملك جسدها فقط بل يملك أموالها وكل ما تملك بحيث تنتقل كل أموال المرأة وكل ما كانت تملكه قبل زواجها وما حصلت عليه من أسرتها إلى زوجها، ونستطيع أن نقول أيضاً إن الرجل في ظل هذه الثقافة يملك حتى روح المرأة بعد أن يتزوج بها، فنجد وبمجرد بروز بعض المشاكل بينه وبين زوجته يقدم على ضربها ولا يستطيع أحد أن يعاقبه أو يلومه على ما فعل.

فالبنيت في بيت أبيها تعاني من نفس المشاكل أيضاً فهي مسلووبة الاختيار، فعلى الرغم من الحرية الموجودة في إيجاد وإقامة العلاقات بين الرجل والمرأة تبقى مسألة الزواج واختيار الزوج المناسب بيد الأب وإرادته ولا يوجد للبنيت أي حق في هذا الانتخاب، فنحن ومن خلال هذه المسرحيات التي أشرنا إليها سابقاً نجد نماذج من هذا الإجبار والظلم الذي تتعرض له المرأة في الجو الأسري السائد في هذه المجتمعات، وحتى نجد بعض القصص تعكس الواقع المؤلم الذي تعيشه الزوجة مع زوجها،

فهذه الحالة وكما قلنا كانت سائدة منذ القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حيث بدأت بعض النهضات والحركات تطالب بحرية وحقوق المرأة.

أطلب منكن أيتها الشابات الكريمات أن تمعن النظر بكل ما يحدث في هذه المجتمعات الغربية، فهذه المجتمعات أقدمت مؤخراً وفي أوائل القرن العشرين على إعطاء المرأة حقها في الملكية، وهذه الخطوة كانت نتيجة بحث ودراسات أجراها مجموعة من علماء الاجتماع عندما رأوا بأن الغرب بحاجة إلى أيدي عاملة أكثر لتشغيل مصانعهم التقنية التي وجدت طريقها إلى الغرب، ولهذا أصدرت قوانين تعطي للمرأة حق الملكية لتجرّها إلى هذه المعامل مقابل أجور زهيدة تتقاضها مقابل ما تؤديه من الخدمات في هذه المصانع.

لقد أشرنا سابقاً بأن الحركات التي ظهرت من أجل الدفاع عن المرأة وإعطاءها حقوقها مقابل الظلم الذي تتعرض له كانت قد ظهرت في أوائل القرن العشرين، وهذه الحركات أفرطت في هذه المسائل بحيث شاع الفساد في المجتمعات الغربية وخلال هذه العقود الأخيرة وحتى وقف المصلحين وأصحاب الفكر حيارى وعاجزين أما هذا الفساد والإباحة الجنسية، فهذه الحركات وجهت ضربة قاضية للمرأة بدل من أن تقدم إليها خدمة في هذا المجال، لأن التفريط الذي اتبعته هذه الحركات أدى إلى إشاعة الفساد والفحشاء وأدّى إلى هدم البنيان الأسري في المجتمع الغربي، فعندما يستطيع الرجل أن يمارس شهواته وبحرية مطلقة وعندما تستطيع المرأة أن تقيم علاقة مع من تريد من الرجال يفقد كل منهما صلاحيته على البناء الأسري القويم ويكون التشتت والفناء مصير هذه الأسر، يعني مسألة التشتت الأسري هي من المشاكل المهمة التي يعاني منها الغرب حيث ساق هذا التشتت المجتمع الأوربي إلى هاوية الطريق. لذا نرى أن أكثر الغربيين وخاصة النساء منهم يكونون جلّ الاحترام لكل من يحمل شعار الأسرة وبناءها، لأن الأسرة هي المكان الذي يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يجد أمنه واستقراره فيها. ومع الأسف الشديد إننا لا نستطيع أن نرى هذا البنيان القويم في المجتمعات الغربية، فنجد الكثير من النساء الغربيات تحملن ألم الوحدة إلى نهاية حياتهن، ونجد أيضاً الكثير من رجال هذه المجتمعات لم يستطيعوا أن يتقوا بزوجة صالحة توفر لهم الأمن والاستقرار في حياتهم الأسرية حيث أكثر الزيجات عندهم تبوء وتنتهي بالفشل.

أما الأسرة في بلادنا فعلى العكس مما نجده في المجتمعات الغربية؛ فهي تمتاز بعلاقاتها الحميمة ويجدورها القويمة؛ فالعلاقات بين ربة ورب البيت وأولادهم وأحفادهم وأقاربهم قائمة على أساس المحبة والاحترام المتبادل فهم يتزاورون في ظل جو أسري سليم، وقلما نجد مثل هذه الأسر في المجتمعات الغربية وحتى الزوج والزوجة عندهم يفتقدان العلاقة الزوجية الحميمة التي تربط كل منهما بالآخر لتشكّل نواة أسرية قويمة.

وأما المسألة الأخرى فهي مسألة القتل الذي تتعرض له المرأة في هذه المجتمعات وخاصة المجتمع الأمريكي، حيث أصبحت مسألة القتل وسفك الدماء من المسائل العادية في أمثال هذه المجتمعات، وأصبح الناس يقدمون على هذه الأعمال الجنائية وبكل سهولة غير مستنكرين ما يفعلون. ونحمد الله ونشكره أن هذه الأمور قلما تحدثت في بلادنا ولا تتعدى سوى الظروف الاستثنائية التي يتعرض لها المجتمع. وعلى كل حال، يجب محاربة جميع أنواع الظلم الموجه للمرأة ليستطيع المجتمع أن يشق طريقه في الحياة ويصل إلى مكانة التي عيّنها الإسلام له.

إن القوة الجسمانية للرجل والتي تفوق المرأة جعل التاريخ يظلم المرأة. وموضوع المرأة في الحقيقة يتجلى في مبارزتها لهذا التاريخ، وإذا كانت هذه المبارزة سطحية سوف تتأخر المرأة في نيل حقوقها من التاريخ. لذا يجب أن يكون عملها هذا متواصلاً ودقيقاً ومدروساً. ومن الضروري التحرك الجدي والصائب للمرأة المثقفة لاستعادة شخصيتها الحقيقية على ضرورة محاربة المرأة للظلم التاريخي بالحكمة والنطق والتدبر.

يجب أن تتمتع النساء بالوعي الكامل والإلمام الشامل لمسألة المرأة ونظرة الإسلام لها لتستطيع أن تدافع عن حقوقها بالاتكاء والاعتماد على هذه النظرة الرفيعة للمرأة.

إن الإسلام قد عيّن حداً وسطاً في مسألة حقوق المرأة خال من الإفراط والتفريط، حيث لم يعطِ للمرأة حق ممارسة الظلم، وفي نفس الوقت لم يغض النظر عن الطبيعة الحاكمة التي تميز الرجل عن المرأة. إن الصراط المستقيم والقويم هو الصراط الإسلامي الذي حدّده الإسلام.

المشكلة الكبيرة في يومنا هذا لا يقتصر وجودها في إيران، بل موجودة في جميع أنحاء العالم وهي التقصير والتعدي لحقوق وشخصية المرأة في بعض نواحي الحياة، يعني الظلم الواقع عليها. البعض يتصور أن التقصير والتعدي يقتصر على البلدان الشرقية أو الإسلامية، وهذا خطأ جلي، فالظلم الواقع على المرأة في الدول الغربية، مع كل تلك الادعاءات التي تدعيها الدول الغربية نسبة إلى المرأة، إن لم يكن أكثر مما عليه في الدول الإسلامية والشرقية، لم يكن أقل منه. هناك إحصاءات (أرقام) مذكورة عن تعرض المرأة للأذى من قبل الرجل سواء كان زوج أو أخ أو ابن، وأنا قد شاهدتها. هذه الأرقام تهزّ الإنسان وتدهشه. وعلى هذا تكون هذه المشكلة في جميع أنحاء العالم، ويجب أن تحل هذه المشكلة.

ومن الضروري تصديق قوانين تهيأ الجو الآمن للمرأة في المحيط الأسري وفي بيت زوجها، ويجب أن تحس المرأة بأنها تستطيع أن تلتجئ إلى القانون وتدافع عن حقها مقابل الظلم الذي يمكن أن تتعرض له من قبل زوجها، وفوق تحقق هذا الأمر نكون قد حققنا عملاً عظيماً في الدفاع عن حقوق المرأة. وأنا أجد في نفسي رغبةً شديدة لتحقيق هذا الأمر.

يجب الدفاع عن المرأة من الناحية القانونية والأخلاقية؛ فالدفاع القانوني يتمثل بتعديل بعض القوانين المتوجهة للمرأة، والدفاع الأخلاقي يكون بمواجهة من يمارس الظلم بحق المرأة ويحرمها من التقدم والرقي المعنوي والعلمي. وهذه المواجهة يجب أن تكون على أساس المنطق والعدل. إن مجال النشاطات والجهاد العلمي والاقتصادي السياسي للمرأة مفتوح بشكل كامل. لو أراد أي شخص استناداً إلى العقيدة الإسلامية، أن يحرم المرأة من الأعمال العلمية والمساعي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، يكون حكمه هذا خلافاً لحكم الله. النشاطات التي تتناسب مع القدرة الجسمانية للمرأة، والحاجات والضرورات، لا يمنعها أي شيء ليعلمن ما يمكنهن في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. الشرع المقدس لا يمنعهن من ذلك.

طبعاً من الناحية الجسمية، تكون المرأة ألطف من الرجل، وعليها أن تراعي الضرورات. إن فرض الأعمال الثقيلة على المرأة، يكون بمثابة الظلم عليها، وهذا ما لا يوصي به الإسلام، وكذلك لا يوصي

بالأعمال العلمية والمساعي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تفوق طاقة المرأة. هناك رواية عن النبي الأكرم (ص): "المرأة ريحانة وليست قهرمانة". القهرمان يعني الخادم المحترم، هذه الرواية خطاب موجّه للرجال، يعني أن المرأة كالورد اللطيفة في بيوتكم، ويجب أن تتعاملوا معها بكامل الدقة والظرافة. لم تكن خادمة كما تظنون وتحملوها الأعمال الثقيلة. هذا أمر مهم.

وكذلك إجبار المرأة على القيام بأعمال ثقيلة، اقتصادية، اجتماعية، أو سياسية صعبة، هذا لا يوصي به الإسلام، النظرة الإسلامية هي نظرة متعادلة. يعني لو تسنى للمرأة وقت الفراغ، ولم يمنعها من تربية الأطفال، ولها رغبة وشوق وطاقة جسمية كافية، وتريد أن تدخل ميادين النشاطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فلا مانع من ذلك. ولكن عندما تُجبر على عملٍ ما، ويُعين مقدار العمل المطلوب منها لكي يكون لها وارد مالي وتقع عليها حصة من ميزانية مصروف العائلة، هذا ما لم يطلبه الإسلام من المرأة. ويعتبر هذه نوع من الأمور المفروضة على المرأة.

النقطة المهمة في المحيط العائلي، وكما قلت، إن هذين العنصرين الموجودان الرجل والمرأة وبخصوصياتهما، لهما معاً تناسق وتعايش، لكن لأحدهما ظرافة من الناحية الجسمية والآخر أقوى وأغلظ. وإذا لم يدافع القانون عن المرأة، لأمكن للرجل أن يضايقها. لذا، تقع على عاتق القانون وظائف ومسؤولية ثقيلة جداً مقابل حمايته للنساء اللاتي كوّنّ عائلة وهن يعشن في محيط عائلتهن، هذا الأمر الذي يجب أن نتابعه بجدية في بلدنا.

طبعاً، بعد الثورة دخلت إصلاحات كثيرة على قوانين الزواج وقوانين حماية العائلة، ولكن لا يكفي ذلك الشيء الذي نوصي به المسؤولين، إن كانوا في المجلس أو في أجهزة الدولة الأخرى، أو أولئك الذين يعلون منابر الخطابة والوعظ وذلك أنه يجب أن تتم الحماية الأخلاقية والقانونية للمرأة، كي لا يتمكن الرجل في المحيط العائلي أن يفرض كلامه.

هذه هي النقطة الأساسية التي عمل بها الإسلام في هذا القسم من الحياة، وهذه هي النقطة التي ابتليت بها المرأة في عالم الغرب، ووقعت تحت مظلوميتها القاسية أو الشديدة.

والمرأة لها حق إنجاز النشاطات الاجتماعية والسياسية والعلمية وحسب مقتضيات زمانها وما تجده واجباً على عاتقها، وأيضاً لها حق في أن تملأ الخلاء الذي تجده في مجتمعها وذلك فيما تؤديه من النشاطات. مثلاً تستطيع الفتاة أن تكون طبيبة أو أن تخوض المجال الاقتصادي أو تشغل في الحقل العلمي كأن تكون مدرسة تمارس التدريس أو تدخل المجالات السياسية وأن تكون صحفية وغيرها...

ففي خلال السنوات الأخيرة بُدلت مساعي قيمة وواضحة للعيان في المجال الثقافي والفكري لقضايا المرأة. ونحن عندما نتكلم حول أمور فكرية وثقافية تخص المرأة وقضاياها وضرورة ارتقاءها إلى مدارج الكمال العليا وضرورة تهيئة الفرص والقوانين المناسبة لها نسأل ونقول ما هو الهدف من هذه البحوث والدراسات والكتابات في هذا المجال؟ وما هو هدف هذه المساعي كلها وخاصة في المجال القانوني للمرأة؟ ونسأل أيضاً ما هي الشعارات والعناوين والوسائل التي يمكن من خلالها أن تحصل المرأة على منزلتها ومقامها الطبيعي؟

وهناك مسألة أخرى تحتاج أيضاً إلى تفكير وإمعان وهي مسألة النضال من أجل رفع الظلم الذي تتعرض له المرأة، وما هي المسألة المطروحة في الساحة؟ وما الذي يجب أن نعمله؟ وما هي الأمور التي تضر المجتمع؟ كل هذه الأمور تحتاج إلى نوع من الدقة والتفكير، وكذلك الحال بالنسبة إلى الحركات والنهضات الاجتماعية؛ فهذه الحركات إذا أردت أن تخطو خطوات صحيحة وإذا أرادت الوصول إلى نتائج صائبة يجب أن تكون مبنية على التعقل والتفكير وعلى أسس عقلية صحيحة تستطيع من خلالها أن تميز مصالحتها المتوخاة. إذن مسألة التفكير من المسائل المهمة التي يحتاج إليها المجتمع في مسيرته العملية.

وأما الحركات والنهضات التي تطالب بحقوق المرأة، فيجب أن تكون هذه الحركات معتمدة على النظرة الصحيحة لحقائق الكون والوجود ومعرفة طبيعة وفطرة كل من الرجل والمرأة، ويجب أيضاً أن تتعرف على المسؤوليات والواجبات التي تخص كل من الطرفين والواجبات المشتركة بينها، وعلى هذه الحركات أن تحذر من التقليد الأعمى لأن هذا التأثير والتقليد سوف يسوقها إلى اتخاذ قرارات مضرّة وخاطئة.

فالإسلام هو الذي يرسم لنا طريق الوصول إلى أهدافنا بطريقة عقلانية وحكيمة ولا يرفض تجارب الآخرين التي يمكن للإنسان الاستفادة منها بشرط أن تكون مبنية على أسس عقلانية صحيحة بل الإسلام يرفض التقليد الأعمى والتبعية.

فعلى الذين يسعون من أجل حصول المرأة على حقوقها وتنمية وتفجير طاقاتها وقدراتها أن يحددوا هدفهم ومسيرهم وأن يعرفوا ما هي الشعارات والعناوين التي يجب أن تطرح في هذا المجال.

كل هذه المشاكل في المجتمع الغربية وكل هذه الأمور هي نتيجة الإفراط الذي اتبعته الحركات والنهضات التي تحمل اسم الحرية، هذه الحركات حركات لا تقوم على أسس منطقية وعقلانية سليمة بل حركات عشوائية لا تعير للسنن الإلهية أهمية خلال مسيرها في إعطاء الحق الطبيعي للمرأة ولا تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة التي جبل الله سبحانه وتعالى عليها كل من الرجل والمرأة، لذلك كانت نتيجتها جلب الويلات والمشاكل للمجتمع الغربي وخاصة المرأة منه. فالمجتمعات الإسلامية يجب أن لا تأخذ هذه النهضات التحررية طريقاً للوصول إلى أهدافها في مجال حقوق المرأة، بل يجب أن تبعد أمثال هذه الأفكار عن ساحتها الإسلامية وأن تستلهم من الشريعة الإسلامية السمحاء ما يؤهلها على نيل حقوقها التي حرمت منها خلال السنين المنصرمة.

نحن لا نستطيع أن نقول أن لا معنى لهذه الشعارات التي تحمل اسم حقوق المرأة في ظل المجتمعات الإسلامية، لأن المرأة وهي تعيش في هذه المجتمعات لا ينقصها شيء يجعلها تطالب بحقوقها الضائعة!! لأن المرأة أينما كانت تحتاج إلى هذا الدعم لأنها تعرضت إلى الحرمان وسلب حقوقها عبر التاريخ سواء كانت في المجتمعات الإسلامية أو غير الإسلامية، مع فارق في المضمون لأن الحرمان الذي تعرضت له المرأة في المجتمع الإسلامي لا يتجسد في حرمانها من الحرية المطلقة وإنما يتمثل بإضاعة فرص التكامل والمعرفة وتربية أولادها تربية صحيحة، وكذلك حرمانها من التحلي بالأخلاق التي تؤهلها الوصول إلى مدارج الكمال العالية. لذلك يجب تهيئة الفرص المناسبة للمرأة لتأخذ حقها الطبيعي في هذا المجال وهذا ما يؤكد عليه الإسلام والشريعة الإسلامية.

إذن فالهدف من المطالبة بحقوق المرأة هو إيجاد هذا الجو الأسري السليم ليساعد على تقدم المجتمع وازدهاره، وليس الهدف من هذه المطالبة خلق جبهتين متعاديتين من الرجال والنساء تحال كل منها السيطرة والغلبة على الأخرى.

هناك بعض النساء يحملن شعارات المطالبة بحقوق المرأة وحريتها ولا يبغين وراء هذا إلا الحرية المبتدلة التي ينادي بها الغرب، فهذا النوع من النساء لا يهمنه من الحياة سوى الماديات ووسائل الزينة والمكياج، فلا نجد لهم عطاء يذكر خلال الثماني عشر سنة تلت الثورة الإسلامية. نحن نخاطب هؤلاء ونقول لهم إذا كان الغرب صائباً في نظرتة إلى المرأة عطاءها وحقوقها وحرياتها لما اضطر إلى إيجاد حركات تحررية تطالب بحقوق المرأة من جديد وذلك بعد مضي سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً ولربما بعد مضي مائة سنة من تاريخ المرأة التحرري على ما يزعمون.

وكما ذكرنا يجب مجابهة الذي يتعدون على حقوق المرأة مجابهة قانونية شديدة، فالدول الغربية ورغم شعاراتها التي تنادي بحقوق المرأة وحريتها لم تستطع أن تضمن لنسائها الأمن والاستقرار اللازم، فهناك إحصاءات تشير إلى أن عددا كبيرا من نساء هذه المجتمعات تتعرض للضرب والجرح من قبل زوجها وأبيها.

إن مجال النشاطات الاجتماعية التي تشمل النشاطات الاقتصادية والسياسية والنشاطات الاجتماعية بالمعنى الأخص وأيضاً تشمل النشاطات العلمية وطلب العلم والتدريس والسعي في سبيل الله والجهاد وكل ميادين العمل في المجتمع. وفي هذا المجال أيضاً الإسلام لا يجد فرقاً بين الرجل والمرأة في ممارسة هذه النشاطات. وإذا كان هناك ادعاء بأن الرجل يستطيع أن يدرس والمرأة لا تستطيع أو الرجل يستطيع أن يُدرّس والمرأة لا تستطيع والرجل يستطيع أن تكون له نشاطات اقتصادية والمرأة لا تستطيع فهذا ادعاء يخالف الدين الإسلامي.

الإسلام يرى بأن النشاطات المتعلقة بالمجتمع البشري الرجال والنساء متساويات في ممارستها، وطبعاً توجد بعض الأعمال لا تلائم طبيعة جسم المرأة، وهناك أيضاً بعض الأعمال لا تلائم مع طبيعة

الرجل، وهذا لا يعني بإمكان أو عدم إمكان مشاركة المرأة في النشاطات الاجتماعية، بل تقسيم العمل يكون حسب القدرة والرغبة ووجدوا مجالات تقتضي العمل فيها.

فالمرأة إذا أرادت وكان لها رغبة تستطيع أن يكون لها نشاطات مختلفة وتستطيع أن تؤدي أي عمل يتعلق بالمجتمع.

لقد عيّن الإسلام حدوداً في ممارسة المرأة لنشاطها، وهذه الحدود لا تتعلق بجواز مشاركة المرأة في النشاطات الاجتماعية، لكن هذه الحدود تتعلق بمسائل أخرى مثل الاختلاط بين الرجل والمرأة، فالإسلام يؤكد بأنه يجب أن تكون حدود هناك حدود للاختلاط بين الرجل والمرأة سواء كان في الشارع أو الدائرة أو المتجر وغيره من الأماكن الأخرى.

إن النساء يستطعن أن يتابعن مسألة طلب العلم وأن يصلن إلى درجات عالية ومرموقة منه، والبعض يعتقد بأنه لا يمكن للفتيات طلب العلم وذلك في الفرع التي يرغبن فيها لأن المجتمع بحاجة إلى الاختصاصات العلمية للفتيات والنساء كما هو بحاجة إلى اختصاصات الذكور.

وطبعاً إن الجو الدراسي ولكل من الذكر والأنثى يجب أن يكون طاهراً ونقياً، ويجب أن تكون الجامعات مكاناً آمناً لأولاد الناس إناثاً وذكوراً، والمحيط الخارجي يجب أن يكون محيطاً مناسباً من الناحية الأخلاقية ومؤهلاً للمحافظة على عفة كل من الإناث والذكور، وفي حالة المحيط الخارجي كالشارع والسوق والدراسة وغيرها محيطاً آمناً نقياً من الناحية الأخلاقية والفكرية تستطيع كل من المرأة والفتاة المسلمة والرجل والصبي المسلم أن يمارس نشاطه في المجتمع.

إن مجتمعنا اليوم وبحمد الله خاض شوطاً واسعاً في مجال مسألة التربية والتعليم، فنجد المرأة حققت إنجازات قيمة في هذا المجال. ومع هذا توجد بعض العوائل تمنع بناتها من التعلم وطلب المعرفة. فيجب على مثل هذه العوائل فسخ المجال أمام أولادها وبناتها لينتهلوا من المعارف والعلوم الدينية والإنسانية، لأن الجو الدراسي اليوم جو مناسب وخال من جميع أنواع المفسد التي يمكن أن تتعرض لها المرأة خلال مسيرها العلمي.

إن الآباء والأمهات والمسؤولين يقع عليهم عاتق إيجاد مثل هذا المحيط السالم أخلاقياً، ولأجل الابتعاد عن مسألة الاختلاط فرض الله تعالى مسألة الحجاب. الحجاب هو وسيلة من وسيلة من وسائل إيجاد الأمن الأخلاقي. وبالحجاب يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يحافظ على نفسه، وفي حالة ابتعاد المرأة عن مسألة الحجاب وسلوكها طريق الخلاعة والتعري تضر نفسها وتسلبها أيضاً حالة الأمان أولاً وتضر الرجل ثانياً، لأنه كلما كان المجتمع والمحيط خالي من المفاسد الاجتماعية يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يؤديا مسؤولياتهما الاجتماعية.

إن الإسلام هو الذي فرض الحجاب باعتبار واحد من الأحكام المهمة في الإسلام. لقد ذكرنا واحدة من فوائده، وللحجاب وفوائد أخرى نشير إليها في بحث آخر.

ففي مسألة انتخاب الزوج تملك الحرية المطلقة في انتخاب شريك حياتها، ولا يستطيع أحد أن يجبرها حتى أخيها أو أبيها فكيف بأقاربها؟.

يعني لا يستطيع أحد أن يجبرها بأن تتزوج بشخص معين. هذه هي نظرية الإسلام، ورأيه في مسألة الزواج. وتوجد في المجتمع الإسلامي بعض العادات والتقاليد الجاهلية ولا زالت موجودة في بعض الدول الإسلامية وحتى في بعض مناطق إيران مثلاً في المحافظات المركزية مثل خوزستان ومناطق أخرى، فمثلاً في بعض العشائر يستطيع ابن العم أن يتدخل في زواج ابنة عمه، وهذه عين الخطأ لأن الإسلام لم يعط لأحد حق التدخل في هذه المسائل، وهذه عادات جاهلية لا يمكن أن تنتهم الإسلام بها بمجرد ما صدرت عن بعض جهلاء المسلمين وهؤلاء يتصرفون حسب عادات وتقاليد جاهلية لا تم للإسلام وأحكامه الجلية بأي صلة.

الذي يجبر فتاة على الزواج من ابن عمها يكون عمله هذا خلاف الشرع الإسلامي، وكذلك لم من يحرم ابنة عمه من الزواج أو لا يوافق على زواجها لأنها لم تتزوج منه. فقد خالف الشرع الإسلامي الحنيف.

إذا حدث نزاع وسفك دماء بين قبيلتين من القبائل وأراد أحد أن يحل هذا النزاع بزواج ابنة أحد القبيلتين بشاب القبيلة الأخرى وذلك دون استشارتها يعتبر هذا الزواج زواج خلاف الشرع الإسلامي الحنيف. أما إذا استشيرت البنت ووافقت على هذا الزواج وكان الزواج حلاً لهذا الخلاف الدائرة فهذا زواج جائز ومبارك أيضاً، والإجبار والإكراه في هذه المسألة خلاف الشرع الإسلامي.

وعلى ذلك الأساس، في النظرة الثانية الذي ذكرناه بشكل مختصر، نظرة الإسلام، وهي أن المرأة يجب لا تُجبر ولا تُفرض عليها النشاطات العلمية والاقتصادية والاجتماعية السياسية وأمثالها، وفي نفس الوقت يجب أن لا يُسد الطريق أمام المرأة، ولو أرادت النساء أن تشاركن في النشاطات الاجتماعية والسياسية، لا يمنعهن من ذلك شيء. طبعاً النشاطات العلمية جيدة جداً، وترجع على غيرها.

فأنا أوصي بأن تسمح العوائل بذلك لتدرس بناتهن. لا يتصور الوالد أو الوالدة، ومن ناحية التعصب الديني بأنه يجب أن تُمنع بناتهن من الدراسات العليا. لا، لم يقبل الدين بذلك، الدين من الناحية الدراسية، لا فرق بين البنت والولد، إن كان ابنكم يدرس دراسات عليا، لتكن ابنتكم مثله أيضاً، واسمحوا لبناتكم الشابات أن يدرسن، ليتعلمن العلم، وليكتسبن المعلومات، ليعرفن الشؤون التي تخصهن، وليعرفن قدرة أنفسهن، ليفهمن إن إعلام الاستكبار العالمي . فيما يخص المرأة . كم هو سطحي وفاقد للأسس وأجوف، ويمكن فهم كل ذلك في ظل التعليم.

إن بناتنا ونساؤنا الشابات، اليوم، الأكثر تديناً، ثورية، طهراً، إيماناً، هن من الطبقات المتعلمة.

الأشخاص الذين هم أهل التجميل والتعلق بالذهب والزينة، إنهم يريدون بذلك تقليد الغرب في ملبسهم وشكل معيشتهم، هؤلاء غالباً بل يكونون ضييلي المعلومات والمعارف، فالشخص الحاصل على معلومات كافية يمكنه السيطرة على تصرفاته وسلوكه، وأن يطابقها ويوافقها مع الحق والحقيقة ومع ما هو حسن.

أما في مجال الشعارات والعناوين المطروحة، نقول إن الإسلام يفسر بعض الأمور المتعلقة بالمرأة وحقوقها تفسيراً مختلفاً جذرياً عن النظرة الغربية لتلك الأمور، فأول شعار يطرحه الغرب هو الحرية. وللحرية معاني متعددة، فإما أن تعني التحرر من الأسر والقيود، وإما أن تعني التحرر من سيطرة وظلم ربّ العمل الذي يجبر المرأة ويسوقها إلى العمل مقابل أجور ضئيلة تتقاضاها، والحرية تعني أيضاً تحرر المرأة من القوانين التي تجعلها تلتزم مقابل زوجها وشريك حياتها.

فكل معنى من هذه المعاني له مفهوم ومصادقه الخاص به وربما يتناقض مع المعنى الآخر، ولذا نسأل ونقول أي منها هو المراد من هذه المساعي والخطوات المبذولة لإعطاء المرأة حريتها وحقوقها؟

ومن المسائل المهمة التي نحاول ذكرها مسألة التعالي والرقى المعنوي الذي يجب أن تتحلى به المرأة، فعلى المرأة أن تسعى لكسب المعنويات التي طالما كانت بعيدة عنها خلال العصر المنصرم وذلك لتأثرها بالثقافة الغربية الخاطئة.

إن إقبال المرأة على التبرج واستعمال وسائل الزينة خارج البيت هو مظهر من مظاهر عبوديتها للرجل وفرض سلطته وتحقيقاً لحرته على حساب حريتها، لأن الرجل في هذه الحالة يريد أن يستمتع بمظهر المرأة المتبرج كما يستمتع بالأشياء الأخرى التي توفر له الحرية والجو المناسب لممارسة شهواته. فهذه كانت ولا زالت موجودة في المجتمعات الغربية وخاصة المجتمعات البعيدة عن الاعتقادات الدينية. فعلى المرأة أن تخلص نفسها من هذه العبودية وذلك بالرقى المعنوي وكسب العلم والمعرفة.

يعتبر عفاف المرأة من الأركان الأساسية لحركة الدفاع عن حقوق المرأة وحريتها. إن إهمال هذا الركن الأساسي يسوق هذه الحركات إلى هاوية الابتذال وهتك القيم الأخلاقية.

فالعفاف يعطي للمرأة شخصية متوازنة ويرفع منزلتها حتى في أعين الاستغلاليين الذين يتبعون شهواتهم الحيوانية، فمسألة الحجاب والمحارم وجواز النظر إليهم وعدم النظر لغيرهم كلها من أجل الحفاظ على هذا العفاف.

إن العفاف لا يخص المرأة، بل الرجل أيضاً يجب أن يتصف بهذا العفاف أيضاً. أما السبب الذي يدفع إلى التأكيد والإصرار على عفاف المرأة هو قدرة الرجل الجسمانية التي تساعد على ممارسة الظلم بحق المرأة رغم إرادتها.

أرجو من الله تعالى أن يشمل جميع المؤمنات بلطفه وفضله وأقدم شكري وإعجابي لكل الأخوات المؤمنات على ما أظهرن بأن المرأة المؤمنة ومصممة وفعّالة وكثيرة الجهود ولها همّة عالية ومعلومات كافية...

وأسأل الله تعالى أن يمنّ على المؤمنات بلطفه وفضله الوفير.

والحمد لله رب العالمين